وقفة: مع ابن الأدهم

يا أخي الكريم، تأمل معي يرعاك الله قصص الأولين، فهذا ابن الأدهم جاءه رجل، فقال له يا أبا إسحاق: إني مسرفٌ على نفسي، فأعرض عليّ ما يكون لها زاجرًا، ومستنفدًا لقلبي، قال إن قبلت خمس خصالٍ وقدرت عليها لم تضرّك معصية، ولم توبقك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى، فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل، فلا تأكل من رزقه، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟

قال له: يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل من رزقه وتعصيه؟!

قال الرجل: لا، هات الثانية.

قال ابن الأدهم: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده، فقال الرجل: هذه أعظم من الأولى، فإن كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟

قال له: يا هذا أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده وتعصيه؟ قال: لا، هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل من رزقه، وفي بلاده، فانظر موضعًا لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال يا إبراهيم: كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟

قال يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!

قال: لا، هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا، وأعمل لله عملاً صالحًا، قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!

قال الرجل: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني، قال: فكيف ترجو النجاة إذًا؟

فقال له الرجل: يا إبراهيم بن الأدهم، حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

ولزم ذلك الرجل ابن الأدهم في العبادة، حتى فرّق الموت بينهما.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إنها قَصص الصالحين، ولقد كان في قصصهم عبرة، أفما آن الأوان لنعتبر.

فهيا يا أحبتي، ولنحاول أن نطبق هذه الخمس معنا، وهل سنقوى على ذلك؟!

فلا لعصيان الله تعالى، لا للعصيان، لأننا نأكل من رزق الله، ونسكن أرض الله، ونحيا تحت نظر الله، ولا نستطيع دفع ملك الموت إذا قَدم، كما إننا لا نملك أن نرد زبانية النار عنا.

فوقفة أيها الإخوة، ونظرة تأمل وتدبر، تجدنا وقد تخلصنا من براثن الذنوب، وأسرعنا إلى التوبة، ونقول: حسبنا حسبنا، نستغفر الله ونتوب إليه.

رزقني الله وإياكم توبة نصوحًا، وعملاً صالحًا متقبلاً، وصدق الله العظيم، {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

* * *